القدرة على التنظيم والتنظيم الإداري

نشر بتاريخ 28 إبريل 2021

بقلم: الدكتور زكريا خنجي

ربما تختلف مفاهيم القدرات القيادية للإنسان عن مفهوم التنظيم الإداري والقدرة الإدارية، إلا أنهما – حسب اتفاق معظم المراجع – قطعتان لصورة واحدة، كل قطعة تكمل الأخرى، فلا يمكن أن تبدو الصورة جميلة بقطعة دون الأخرى، أو هما طرفا ميزان، الطرف الأول تمثل القيادة والطرف الأخر يمثل الإدارة، وحتى تصبح وتستمر العملية المؤسسية منتظمة لابد من أن يكون طرفي الميزان متساويين، فإن اختل أحد الأطراف فإن العملية المؤسسية حتمًا ستختل، والسبب في ذلك – كما نراه – أن هناك علاقة وطيدة بين القدرات والتنظيم القيادي والقدرات والتنظيم الإداري، فستختل المؤسسة إن كان من يقودها إداريًا فقط إذ أنه تنقصها الكثير من الجوانب الإرشادية والإنسانية، وكذلك ستختل إن المؤسسة إن كان من يقودها قائدًا فحسب إذ أنه تنقضها الكثير من الجوانب التنظيمية والإجراءات الضبطية، لذلك عادة تحتاج المؤسسات حتى تصبح من المؤسسات العملاقة التي يمكن أن تقف وتنافس في الأسواق العالمية إلى تساوي طرفي الميزان، وهذه هي التكاملية التي ننشدها دائمًا.

ولقد كان صلى اللّه عليه وسلم يمتلك تلك القدرة التكاملية بين جنبيه، وكان طرفي الميزان لديه متساويين، فهو تارة قائد فذ يحلل الأحداث ويستقرأ الوقائع ويفكر في النتائج ويخطط ويستفيد من كل جديد، وتارة فهو منظم وموجه ومرشد، بالإضافة إلى أنه تمكن من تغليف كل ذلك بغلاف الإنسانية والحب والأبوة والرعاية لجميع رعايا الدولة الإسلامية الأولى، لذلك كان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم هو القائد الإداري الفذ الذي احتل المرتبة الأولى بين جميع قيادي العالم على مدار التاريخ وذلك باعتراف كل أعدائه قبل محبيه.

علماً أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم لم يكن يشرع ولم تكن ضمن وظائفه وضع التشريعات، فالتشريع في الدولة الإسلامية للّه سبحانه وتعالى، وهذا أمر لا خلاف فيه وعليه، فقد جاء القرآن الكريم ووضع التشريعات المناسبة لجميع الأمور الحياتية التي يحتاجها الإنسان، فالآيات تتحدث عن الحيض والنفساء والطلاق والمواريث وما إلى ذلك، فالآيات الكريمة وضحت واجبات الإنسان نحو ربه ونحو نفسه ونحو المجتمع، وكذلك حقوقه المختلفة.

فرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم لم يكن يحرم الحلال ولا يحرم الحلال ولا ينبغي له ذلك، فهذا حق اللّه سبحانه وتعالى على البشر فهو لم يمنحه لرسوله الكريم صلى اللّه عليه وسلم ولا ينبغي لبشر أن يتسلط على هذا الحق، وإنما منح صلى اللّه عليه وسلم بالإضافة للكثير من الحقوق والأمور

واحدة من أهم الحقوق هو تكوين وتثبيت كيان الدولة الإسلامية من الناحية الإدارية، وهذه تُعد واحدة من الأمور المهمة في قدراته صلى اللّه عليه وسلم كقائد، فكيف تمكن صلى اللّه عليه وسلم من ذلك ؟

تشير بعض المراجع أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قد نظّم شؤون حكومته الإدارية والديوانية تنظيمًا كاملاً بعد أن استقر أمره بالمدينة، وتعددت التعاريف للتنظيم الإداري بتعدد الباحثين والكاتبين في هذا المجال، حيث عرفه فرناس البنا (1985) أنه "ترتيب جهود بشرية جماعية لتحقيق هدف مشترك بفاعلية وكفاءة". وقد عرفه الدكتور إبراهيم المنيف أنه "ذلك الجانب من العملية الإدارية الذي يختص بتحديد الأعمال والأنشطة اللازمة لتحقيق أهداف المنظمة وتنظيمها في إدارات ودوائر ووحدات وأقسام في ضوء تحديد العلاقات التي تنشأ بين الأنشطة والقائمين عليها على كافة المستويات وفي كل الاتجاهات"، أما مارشال ديموك وآخرون فقد عرفوا التنظيم أنه "التجميع المنطقي للأجزاء المترابطة لتكوين كل موحد تمارس من خلاله السلطة والتنسيق والرقابة لتحقيق غاية محددة"، وأيًا ما تعريف التنظيم الإداري إلا أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم تجاوز كل تلك النظريات في سبيل إنشاء الدولة الإسلامية والتنظيم الإداري وذلك عبر الأمور التي سنذكرها في الأمور التي سنسردها غداً.

إن شاء اللّه.